

في جنائن الغرب

نأخذ ما يلي من كتاب « السعادة والسلام » الذي وضعه اللورد اقبري
وعرّبه حضرة الاديب وديع افندي البستاني وسيجيء الكلام عنه بعد

١

﴿ الشاعر والسماء ﴾

ما فرغ الآلهة من شأن الخليفة حتى اعلنوا للبشر ان سيقتمسوا
الارض فيما بينهم ، وضربوا لهم موعداً لذلك . وما آن الموعد المضروب ،
حتى وضع اهل الزراعة أيديهم على الحقول الممرعة ، واخذ التجار يهدون
القفار ويسلكون البحار ، واحتلّ الرهبان منحدرات الجبال الصالحة لغرس
الكروم ، وخصص الاشراف وابناء الترف الاحراج والغابات لاجل
الاصطياد والتنزه ، واستولت الملوك على الجسور والمضائق والخارجان لاجل
وضع المكوس والضرائب عليها : أما الشاعر فما نجا من حيث كان غريق
التأملات العميقة ، حتى هبّ يسعى ، ووصل فوجد كلاً قد فاز بنصيبه
فراح يبكي بخته ويطالب بحقه . ولكن ما الحيلة ولم يبق في يد الآلهة
شيء يعطى . فقالوا له : « هيا تعال اسكن معنا في صفاء السماء الابدي .
تعال الينا كما شئت فالباب أبداً مفتوح لك » . فقنع الشاعر بما أصابه .
الا انه غني عن تكلف مشقة الصعود الى طبقات الجو وطياق السماء فهو
اذا شاء وخلا باله وسكن بلباله ، فتمكره يستنزل السماء الى الارض

﴿ وصف الحية ﴾

وكم من حيوانٍ نَظَلُّ لا نعرف له شأنًا حتى يقوم كاتبٌ كرسكن
يصفه لنا . . . وهالك وصفه للحية :

« ذلك الجدول الفضي الاملس - أفكرت في جريه وسميه ؛ الحية
لا تمشي بل تسعى وتجري . وكأنها الزورق في البحر ، إلا ان التراب ماؤها
وقشرها مجدافها ورأسها دفتها . بل هي النهر تنساب في السهل انسياباً .
تتموج ولا ربح تتلاعب بامواجها . تجري ولا شلال يقطع مجراها . كل
جسمها يتحرك معاً - إلا ان بعضه ذات اليمين وبعضه ذات اليسار وقسم
منه الى الامام والآخر الى الورا ، تمر بك ولا تسمعك صوتاً ، وتفوتك وتترك
لك أثراً غواها : ان آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثار
فاجئنا بصرخة واذا بالجدول المنساب قد استحال سهماً مسدداً وموجة
السم استقامت رمحاً مقوماً يخرق الاعشاب وينفذ منها ولا طعنة الفارس
من صدر المدوّ . لها رئة ولا تكاد تنشق الهواء او تنفس الصعداء .
سواء عندها الشمس والظل فهي باردة حارة ، جامدة إلا انها تتعاق ولا
القرد ، وتسبح ولا السمكة ، وتثب ولا الغزال ، وتصارع وأين منها ابن حواء
وتسحق وأين منها النمر . هي قوة شيطانية مجسمة على الارض . وكما ان
المصفور هو قوة الهواء مكسية ريشاً فكذلك الحية انها قوة التراب لايسة
مسوحاً وجلداً . وكما ان المصفور هو رمز للروح والحياة ، فالحية رمز لقضي
الموت على الحياة وقبضته على الروح »